حكايات نبوية

٣

يارسول الله ! أتعرفني

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

مَعاً إلى المَكْتبةِ العُمُومِيَّةِ

اتَّفقتْ (ليلى) مَعَ صَدِيقَتِها (لحاظ) على الذَّهابِ غداً إلى المَكْتبةِ العُمومِيَّةِ...

وفي صَبِيحةِ اليومِ التَّالي ، كانتْ (ليلى) قد هَيَّأتْ نَفْسَها ، وحَمَلتْ مَعَها دفَاتِرَ وقَلَمَيْنِ... فَنَظرتْ إلى سَاعَتِها.. فَوَجَدَتْها تَقْتَرِبُ من العَاشِرةِ ، فقالتْ في نَفْسِها: عَجِيبٌ أَمْرُ (لحاظ).. كيفَ لم تَصِلْ بعدُ... فهي التي عَهِدْناها دَقِيقةً في المَواعِيدِ وإلى حَدٍّ عَجِيبٍ؟

لذلك سَأَقُومُ بإعدادِ القَهْوةِ رَيْثَما تَصِلُ.. ، وفي طَرِيقِها إلى المَطْبخِ سَمِعَتْ قَرْعَ جَرَسِ المَنْزِلِ ، فَتَوَجَّهتْ نحو بابِ البيتِ ، ثمَّ فَتَحَتْهُ

فـرَأتْ صَـدِيقَتَهـا (لحـاظ) وهـي تَحْمِـلُ أَوْراقـاً وأَقْلاماً.

رَحَّبـتْ (ليـلى) بِصَـدِيقَتِهـا وهـي تَبْتَسِـمُ.. ، فَسَأَلَتْها (لحاظ): وما سِرُّ ابْتِسامتِكِ يا ليلى؟

فأجابتْ (ليلى): كُنَّا في كَثيرٍ من الأَحْيانِ نَضْبطُ ساعاتِنا على مَواعِيدِكِ ، وذلك لدقَّتِكِ بها.

وابتسمَتْ (لحاظ) وقالتْ: نعم.. ، وأنا الآن قد وَصَلْتُ في السَّاعة المُحَدَّدةِ.. ولكنْ يبدو أن ساعَتَكِ قد سَبَّقتْ بعضَ الدَّقائقِ!!

وبعـدَ تَنـاوُلِ القَهْـوةِ.. انْطَلَقَتَـا بـاتِّجـاهِ المَكْتبةِ.. وفي الطَّريقِ الجَمِيلِ تبادَلَتا أطْرَافَ الأحَاديثِ ، وخاصَّةً ما يَتَعَلَّقُ بأُمورِ المُحاضَراتِ والنَّدوَاتِ.

وخَيْرُ جَلِيسٍ في الأَنامِ كِتاب!!

وأمامَ صَرْحٍ عَظِيمٍ.. وقفتْ (لحاظ) ورَفَعَتْ رَأْسَها نحو الأَعْلى ، ثم قالتْ لِصَديقَتِها:

يا إلهي! ما هذا البِناءُ الفَخْمُ..؟

ابْتَسَمَتْ (ليلى) ثمَّ قالتْ: ها نحنُ أمامَ المَكْتبةِ العُمُومِيَّـةِ... فماذا سَتَقُولين إذا شاهَدْتِها من الدَّاخلِ.. حَقّـاً إنَّه عَمَلٌ مَبْرُورٌ ، تمتدُّ آثارُه إلى مِئاتِ السَّنواتِ، ويكتبُ اللهُ الحَسَناتِ في صَحَـائِـفِ الـذيـن قـامُـوا بِبِنـائـه ، وتَهْيِئَتِـه ، وتَجْهِيزِهِ...

هَـزَّتْ (لحـاظ) رَأْسَهـا.. ثـمَّ قـالـتْ: صَـدَقَ رسولُ اللهِ ﷺ وذلكَ عِنْدما قال:

«إذا ماتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَمَلُه إلاّ مِنْ ثَلاثٍ:

صَدَقةٍ جاريةٍ.. أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ به.. أو وَلَدٍ صَالحٍ يَدْعُو له».

نَعَمْ يا عَزِيزَتي.. قالتْ (ليلى): وهذه المكتبةُ تَجْمَعُ بين عَمَلَيْنِ خالِدَيْن ، هُما: الصَّدقَةُ الجَارِيةُ ، والتي تَمْتَدُّ مَعَ الأَجْيَالِ ، جِيْلاً بعدَ جِيْلٍ ، والعِلْمُ الذي يُنْتَفَعُ به.

وتَساءلَتْ (لحاظ): كم مِنَ النَّاسِ دَخَلُوا إلى هذه المَكْتبةِ.. فَقَرَؤُوا فيها.. ودَوَّنُوا مُلاحظاتٍ قَيِّمةٍ.. فاسْتَفادُوا وأَفَادُوا..؟

وكَمْ مِنْ طَلَبةِ عِلْمٍ عَكَفُوا في هذا الصَّرْحِ العِلْمِيِّ شُهُوراً وسَنَواتٍ ، حتَّى أَنْهَوْا تَحْضِيرَ رسالاتٍ عِلْميَّةٍ وأُطْرُوحاتٍ جامِعيَّةٍ؟

بلْ وكم من الكُتَّابِ والمُفَكِّرينَ كانتْ جُلُّ

إنْتاجاتِهم الفِكْريَّةِ والأَدَبيّةِ والطِّبيةِ والعِلْميَّةِ كانتْ من المَراجِعِ والمَصادرِ التي في دَاخِلِ المَكْتبةِ؟

قالتْ (ليلى): هَيَّا يا عَزِيزَتي.. فالاسْتِفْساراتُ حَوْلَ هذا الصَّرْحِ العِلْميِّ لا تَنْتَهي... فتعالَيْ نَدْخُلْ إلى قاعاتِ المَكْتبةِ، حيثُ أَمامَنا مُهِمَّةٌ طَوِيلةٌ...

وأمامَ رُفُوفِ الكُتُبِ..

وفي الطَّابِقِ الثَّالثِ قَرَأتْ (لحاظ) ما كُتِبَ على لَوْحةٍ مُعَلّقةٍ على بابٍ كَبِيرٍ: قاعةُ الآدابِ والعُلُومِ الاجْتِماعيةِ...

قالتْ (ليلى): سَنَدْخُل إلى هذه القاعةِ، فَفِيها كُتُبُ التَّراجِمِ وكُتُبُ التَّاريخِ.

وأمامَ رُفُوفِ الكُتُبِ في القَاعةِ الثَّانيةِ وَقفتِ الصَّدِيقَتانِ بكُلِّ انْبِهارٍ وتَعَجُّبٍ..

ثمَّ قالتْ (لحاظ): لو أَرَدْنا قِراءةَ العَناوينِ فقطْ لأَخَذَ ذلك منا وَقْتاً طَويلاً ، فكيفَ سَنَصِلُ إلى كِتابةِ ما يتعلَّقُ ببعضِ الحِكاياتِ النَّبويَّةِ؟!

وكان جوابُ (ليلى): لابُدَّ أن نَسْأَلَ مُراقِبَ القاعةِ عن ذلك.

واقْتَرَبَتَا من طَاولةِ المُراقِبِ.. وسَأَلَتْهُ (ليلى) عن أَقْربِ الطُّرقِ المُوصِلةِ إلى البَحْثِ...

فما كانَ من المُراقِبِ إلا أنْ دَلَّهُما على أَهمِّ وأَقْصَرِ الطُّرُقِ ، حيثُ شَرَحَ لهما التَّصْنِيفَ المَوْضُوعِيَّ ، والذي يَعْتَمِدُ على فَهْرسةِ الكُتُبِ حَسْبَ مَواضِيْعِها ، مثالُ ذلك: وَضْعُ كلِّ الكُتُبِ

المُتعلِّقةِ في مَوْضُوعٍ واحدٍ (كالزَّكاةِ مثلاً) تَحْتَ رَقمٍ واحِدٍ..

وهُناكَ طريقٌ أَقْصرُ هو اللُّجُوءِ إلى العامِلينَ على أَجْهِزةِ الحاسُوب ـ الكمبيوتر ـ فَعَنْ طَريقِ الحاسُوبِ يَسْتَطِيعُ القارئ الوُصُولَ إلى أيِّ مَوْضُوعٍ يريدُ.. وبالسُّرْعةِ المُمْكِنةِ...

شَيءٌ عَجِيبٌ حَقّاً!!

وأمامَ شاشةِ الحاسُوبِ وَقَفتِ الصَّديقَتَانِ بكُلِّ ذُهُولٍ وتَعَجُّبٍ، حيثُ جَمِيعُ مافي المَكْتبةِ من عَنَاوين الكُتُبِ قد خُزِّنَ وصُنِّفَ.. وبِتَرْتِيبٍ ودِقَّةٍ لا مَثِيلَ لهما...

حاولتْ (لحاظ) أن تَسْتَفْسِرَ عن بَعْضِ الأُمورِ، خاصَّةً عن عَدَدِ الكُتُبِ المُخَزّنةِ في الحاسُوبِ!

لكنَّ الموظفةَ مَشْغُولةٌ دائماً.. ، وليس لَدَيْها فَرَاغٌ لذلك!!

واسْتَعْرَضَتِ الصَّدِيقَتانِ بعضَ عَناوينِ الكُتُبِ عن طَرِيقِ شاشةِ الحاسُوبِ ، ثمَّ قامتا بعملياتِ التَّصْفيةِ والتَّهْذِيبِ.

حِكايةٌ نبويّةٌ رائعةٌ..

واخْتَارتْ (لحاظ) عُنواناً من العناوينِ ، ثمَّ كَتَبْ طَلَباً وسَلَّمَتْهُ إلى مُراقِبِ القاعةِ...

وبعدَ عَشر دقائقَ تمَّ تَسْلِيمُها الكِتابَ المَطْلُوبَ ، فراحَتْ تُقلِّبُ فيه فَوَجَدَتْ هذه الحِكايةَ:

في مُعْجَم الطَّبرانيِّ ، ومُسْتَدْركِ الحاكمِ.. عن أبي أُمامَةَ قال:

قال عَمْرو بن عَبَسَةَ السُّلَمي رضي اللهُ عنه:

(كنتُ وأنا في الجاهِليةِ، أظنُّ أنَّ النَّاسَ على ضَلالةٍ، وأنَّهم لَيْسُوا على شَيءٍ، وهم يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ.

فسمعتُ بِرَجُلٍ بمكَّةَ يُخْبِرُ أَخبَاراً، فَقَعَدْتُ على راحِلتي، فَقَدِمْتُ عليه، فإذا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْفِياً، جُرَاءاء[1] عليه قَوْمُه.

فَتَلطَّفتُ حتى دَخَلْتُ عليه بمكَّةَ.

فقلتُ: ما أنتَ؟

قال: «أنا نبيٌّ».

فقلتُ: وما نبيُّ اللهِ؟

قال: «أَرْسَلَني اللهُ».

فقلتُ: وبأيِّ شَيءٍ أَرْسَلَكَ؟

---

(١) جمع جريء، وهي من الجراءة، بمعنى الإقدام.

قـال: «أَرْسَلَنـي بِصِلـةِ الأَرْحـامِ ، وكَسْـرِ الأَوْثانِ ، وأن يُوحَّدَ اللهُ لايُشْرَك به».

قلتُ له: فَمَنْ مَعَكَ على هذا؟

قال: «حُرٌّ وعَبْدٌ» ، وكان معه يومئذٍ أبو بَكْر ، وبلالٌ مِمَّن آمنَ مَعَهُ؟.

فقلتُ: إنِّي مُتَّبِعُكَ.

قال: «إنكَ لاتستطيعُ ذلك يومَكَ هذا ، ألا تَرَىٰ حالي ، وحالَ النَّاسِ؟! ولكن ارْجِعْ إلى أَهْلِكَ ، فإذا سَمِعْتَ بي قد ظَهَرْتُ فائْتِني».

قـال: فـذهبـتُ إلـى أَهْلـي ، فجعلـتُ أتخبَّـرُ الأَخْبارَ[1] وأسألُ الناسَ ، حينَ قدمَ المَدِينةَ ، حتَّى قَدِمَ على نَفَرٍ من أَهْلِ يَثْرِبَ من أَهْلِ

---

(١) أي: أتتبع ، وأسأل.

المَدِينةِ ، فقلتُ: ماذا فَعَلَ هذا الرجلُ الذي قَدم المَدِينةَ؟

فقالُوا: النَاسُ إليه سِرَاعٌ ، وقد أرادَ قَوْمُه قَتْلَه ، فلم يَسْتَطِيعُوا ذلك.

فَقَدِمْتُ المَدِينةَ ، فَدَخَلْتُ عليه ، فقلتُ: يا رسولَ الله ، أَتَعْرِفُني؟

قال: «نعم ، أنتَ الذي لَقِيْتَني بمكَّةَ».

قال: فقلتُ: بلى ، يا نبيَّ اللهِ أَخْبِرْني عمَّا علّمكَ اللهُ وأَجْهَلُهُ.

أَخْبِرني عن الصَّلاةِ؟

قال: «صَلِّ صَلاةَ الصُّبحِ ، ثم أَقْصِرْ عن الصَّلاةِ حتى تَطْلُعَ الشَّمسُ ، حتى تَرْتَفِعَ ، فإنَّها

تطلعُ بين قَرْنَيْ شَيْطان[1] ، وحِيْنَئذٍ يَسْجُدُ لها الكُفَّارُ ، ثم صَلِّ.

فإنَّ الصَّلاةَ مَشْهُودةٌ مَحْضُورةٌ حتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بالرُّمْحِ[2] ثم أَقْصِرْ عن الصَّلاةِ ، فإنها حِيْنَئذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ[3] فإذا أَقْبَلَ الفَيْءُ فَصَلِّ ، فإنَّ الصَّلاةَ مَشْهودةٌ ، مَحْضُورةٌ ، حتَّى تُصَلِّي العَصْرَ ، ثمَّ أَقْصِرْ عن الصَّلاةِ حتَّى تغربَ الشَّمسُ ، فإنَّها تغربُ بين قَرْنَيْ شَيْطانٍ ، وحينئذٍ يَسْجُدُ لها الكُفَّارُ».

قال: فقلتُ: يا نبيَّ اللهِ ! فالوضُوءُ حَدِّثْني عنه؟

قال: «ما منكم رَجُلٌ يتوضَّأُ يقربُ وضوءه

---

(١) أي: مكان قوة الشيطان وغلبته.
(٢) أي: نصف النهار.
(٣) أي: يوقد أهلها إيقاداً بليغاً.

فَيَتَمَضْمَضُ ويَسْتَنْشِقُ فينثرُ إلا خرَّتْ خَطايا وَجْهِه ، ثم إذا غَسَل وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ إلا خَرَّتْ خطَايا وَجْهِه من أَطْرافِ لِحْيَتِه مع الماءِ.

ثم يغسلُ يَدَيْهِ إلى المِرْفَقَيْنِ إلاّ خَرَّتْ خطايا يَدَيْه من أنامِلِه مَعَ الماء ، ثم يَمْسَحُ رَأْسَهُ إلاّ خَرَّتْ خطايا رأسِه من أَطْرافِ شَعرِهِ مَعَ الماء ، ثم يغسلُ قَدَمْيه إلى الكَعْبَيْن إلاَّ خَرَّتْ خَطايا رِجْلَيْه من أنامِلِهِ مَعَ الماء ، فإنْ هو قامَ فَصَلَّى فَحَمِدَ اللهَ وأَثْنَى عليه ومَجَّده بالذي هُو له أَهْلٌ ، وفَرَّغَ قَلْبَه لله ، إلا انْصَرَفَ من خَطِيئَتِه كَهَيئةِ يومِ وَلَدتْه أُمُّه».

ما أَرْوَعَ الحِكاياتِ النَّبويَّةِ

فَرِحتْ (لحاظ) بِهَذِه الحِكايةِ فَرَحاً كَبِيراً.. وأَخَذتْ قَلَمَهَا ، ودَوَّنتْ به الحِكايةَ على دَفْتَرِها...

ثمَّ قالتْ في نَفْسِها: سَأُساعِدُ صَدِيقاتي.. وذلك بأنْ أدلَّهم على المَكْتَبةِ.. والدَّالُّ على الخَيْرِ كَفَاعِلِه.

لكنْ أينَ صارتْ صَدِيقَتِي (ليلى)... وماهي أخبارُ بَحْثِها في الكُتُبِ؟!

وآخرُ دَعْوانا أن الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمينَ